

ظاهرة الكتاب المقدس عند هنري كوربان من أجل هرمينوطيقا روحية
**Le phénomène du Livre Saint chez Henri Corbin Pour une
 herméneutique spirituelle**

الزهرة عامر*

جامعة الجزائر 1 - كلية العلوم الإسلامية - الجزائر، faizaameur@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019/02/18

تاريخ الاستلام: 2018/05/28

ملخص:

تتبع هنري كوربان مفهوم التأويل عند المسلمين في تراث الشيعة الإمامية والإسماعيلية وفي تراث الصوفية وفلاسفة الإشراق ووجد أنه الأساس في فهم القرآن عندهم، هذا التأويل الذي ينهل من الخيال والرموز عرفه الفكر الغربي أيضا، فقد استخدمه المتصوفة اليهود والمسيحيون، ذلك أن ما يجمع هؤلاء، أصحاب الأديان السماوية الثلاثة، هو "الكتاب المقدس"، منطلقهم في القراءة الباطنية والتأويل الروحي. ولقد اعتبر كوربان الكتاب المقدس ظاهرة من ظواهر الدين التي تستدعي الوصف والدراسة اعتمادا على منهج الظاهراتية في الفلسفة ودراسة الأديان وتركيزا على التجربة العرفانية التي تقوم على أساس التأويلية الروحية.

الكلمات المفتاحية: هنري كوربان؛ الكتاب المقدس؛ ظاهرة؛ تأويل روحي؛ ظاهراتية.

Résumé :

Henry Corbin a analysé de près la notion de l'herméneutique chez les musulmans à travers le patrimoine shi'ite duodécimain et ismaélien et l'héritage des soufis et philosophes ishraqui (platoniciens de perse) et a trouvé que pour eux la compréhension du Coran s'appuie essentiellement sur l'herméneutique. Cette dernière puisant dans l'imaginaire et dans les symboles, est connue également dans la pensée occidentale puisque les soufis juifs et chrétiens s'en servaient. Ce que partagent en commun ces adeptes des trois religions monothéistes, c'est le Livre Saint qui est leur point de départ lorsqu'il s'agit de lecture

* المؤلف المراسل

et d'herméneutique spirituelle. Corbin considère le Livre Saint comme un phénomène religieux qui nécessite analyse et étude en se servant de l'outil de la phénoménologie en philosophie et dans l'étude des religions et en se focalisant sur l'expérience mystique dont le fondement même est l'herméneutique spirituelle.

Mots-clés: Henry Corbin, livre saint, phénomène, herméneutique spirituelle, phénoménologie, monde imaginal.

هنري كوربان Henry Corbin (1903 - 1978م) فيلسوفٌ ومستشرق فرنسي ومؤرخٌ أديان. ألّف كتباً كثيرةً في الفلسفة الإسلامية والتصوف والتشيع الإثني عشري والإسماعيلي. اهتم في بداياته بفلسفة هيدغر والحكمة الإشرافية للسهروردي. أسّس في سنة 1947 "قسم الدراسات الإيرانية" في المعهد الفرنسي بطهران، وأشرف على إدارته لسنواتٍ طويلة. كان السبب في إخراج التراث الإيراني المخطوط إلى النور بتأسيسه للمكتبة الإيرانية La bibliothèque iranienne وهي سلسلةٌ من النصوص الفارسية والعربية التي تُعنى بتيارات الفلسفة والعرفان، وقد صدر منها ثلاثة وعشرون مجلداً، حققها كوربان وحزرها وقدم لبعضها. في سنة 1954 اضطر إلى تقسيم وقته بين طهران وباريس عندما خلف مكان لويس ماسينيون Louis Massignon في كرسيّ الدراسات الإسلامية في المدرسة العملية (التطبيقية) للدراسات العليا. كان عضواً في مجموعة إرانوس Cercle Eranos بسويسرا التي كانت تجمع كل عام باحثين من مختلف التخصصات. استدعي إليها للمرة الأولى سنة 1949 وشارك بأكثر من 25 مساهمة تحولت كلها إلى مؤلفات. وفي سنة 1974 أسس هنري كوربان جامعة القديس جان بالقدس de Jérusalem L'Université Saint-Jean وهي "مركزٌ للدراسات الدينية الروحية المقارنة" تجمع فلاسفةً ومؤرخين وعلماءَ دين من الشرق والغرب.¹

¹ للتوسع في معرفة حياة كوربان وأعماله، انظر:

Henry Corbin, Post-Scriptum biographique à un entretien philosophique, Paris, Cahier de l'Herne, Juin 1978, p.1-23. Disponible sur : <<https://www.amiscorbin.com>>. (Consulté le 15/3/2018).- Repères biographiques, L'Herne : Henry Corbin, Paris, Editions de l'Herne, 360, Janvier 1981, pp.15-2

يؤرخ الباحث الإيراني داريو ششايعان Daryush Shayegan¹ لحياة أستاذه هنري كوربان معتبرا مساره مسارا روحانيا بدءاً من دراسته لفلسفة العصر الوسيط على إتيين جيلسون² Étienne Gilson

¹ داريو ششايعان Daryush Shayegan مفكرٌ إيراني معاصر كتب في الفكر والفلسفة، ولد عام 1935، حاز على دكتوراه دولة في الهندوسية والصفوية، شغل منصب أستاذ جامعي للفلسفة المقارنة، ومدير المركز الإيراني للدراسات الحضارية، وكذا مدير معهد الدراسات الإسماعلية في باريس. من مؤلفاته: "كتاب ما الثورة الدينية"، "أوهام الهوية"، "النفس المتبورة". كان رفيقاً هنريكوربان وزوجته منذ بداية زيارتهما لإيران والممثل الوفي لإرثه. ألف كتابا يعرض فيه حياة كوربان وفكره. توفي مؤخرًا في 22 مارس 2018، انظر:

<http://www.daralsaqi.com> (consulté le 16/5/2018)

ترجمة ذاتية مختصرة لشايعان في موقع دار الساقى للنشر:

Décès de Daryush Shayegan : <<https://www.amiscorbin.com>> le 16/5/2018).

² إتيين جيلسون Etienne Gilson (1884-1978) مؤرخ لفلسفة العصور الوسطى ذو مكانة رفيعة وتأثير واسع. شغل منصب أستاذ الفلسفة في كلية الآداب (السوربون) في جامعة باريس وفي المدرسة العملية للدراسات العليا الملحق بها، في قسم العلوم الدينية. من مؤلفاته: "التوماوية، مدخل إلى فلسفة القديس توما الأكويني"، وتولى الإشراف على إصدار سلسلة كتب بعنوان: "دراسات في فلسفة العصور الوسطى". انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1984، 441/1. يذكر كوربان أنه درس عند إتيين جيلسون بداية من سنة 1923-1924 في قسم العلوم الدينية في المدرسة العملية للدراسات العليا. ويشيد بأثره الكبير عليه وبمنهجه المتميز في قراءة وترجمة النصوص اللاتينية وكذا النصوص المترجمة من العربية إلى اللاتينية. تعرف من خلال ترجمة النصوص على الفيلسوف ابن سينا وكانت بداية احتكاكه بالفلسفة الإسلامية، وتشجيعاً من أستاذه توجه كوربان إلى دراسة اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية ابتداءً من سنة 1926. انظر:

- Post-scriptum biographique, pp.1-2 ; Repères biographiques, p.15.

إلى الحكمة الإشرافية للسهوردي¹، مرورًا بالمفكرين البروتستانت مثل مارتن لوثر Luther وجوهان هامان² Hamann

¹ شهاب الدين السهوردي فيلسوف الإشراف، توفي مقتولا سنة 1191 م. كانت بداية اهتمام كوربان به في سنة 1929 عندما قدم له أستاذه لويس ماسينيون Louis Massignon مخطوطة كتاب السهوردي "حكمة الإشراف"، ثم كُلف كوربان بعدها في سنة 1939 بجمع ونسخ مخطوطات السهوردي الموجودة متفرقةً في مكتبات اسطنبول بهدف دراستها دراسة نقدية، فذهب ليمكث هناك مدة ستة أشهر، ولكنه وبسبب الحرب بقي هناك معزولا في المركز الثقافي الفرنسي مدّة ست سنوات، تمكن خلالها من دراسة السهوردي، فكتب مقالاتٍ أكاديميةً حوله ونشر مجموع أعماله بالعربية والفارسية. انظر: Post-Scriptum biographique, p.4, 10.

² هامان Johann George Hamann (1730-1788) مفكر بروتستنتي مناهضٌ لنزعة التنوير في ألمانيا، من مؤلفاته "تأملات في الكتاب المقدس"، "ذكريات سقراطية" وهو أول هجوم علني قام به ضد روح عصره. وكان هامان يعتقد في نفسه أنه الموصل لعمل مارتن لوثر إلا أن المشكلة التي واجهها هامان هي مشكلة العلاقة بين الإيمان وبين الفلسفة، بين المسيحية وبين الفلسفة. كان يشكك في قيمة التجريد العقلي ويقول بالوجدان intuition بوصفه العضو الحقيقي القادر على المعرفة عند الإنسان. انظر: موسوعة الفلسفة، 521/2.

يظهر اهتمام كوربان هذين العلمين (لوثر وهامان) في سلسلة محاضراتٍ قَدّمها حول تأثير لوثر في هامان لطلاب قسم العلوم الدينية بالمدرسة العملية للدراسات العليا في باريس خلال السنة الجامعية 1937-1938 ثم في سلسلة محاضراتٍ بعنوان "بحوث في الهرمونيوطيقا اللوترية" خلال السنة 1938-1939، وكذا في مقالاتٍ كتبها في مجلة Hic et nunc وفي مجلة Le Semeur. وقد ذكر Richard Stauffer أنه يمكن تحديد الدور الذي لعبه كوربان في بداية مساره داخل البروتستنتية عموما من خلال العلاقات التي عقدها والقراءات التي قام بها وتَعَقُّب الآثار في كتبه وأعماله اللاحقة، مع التذكير أنّ البروتستنتية التي يقصدها كوربان هي بروتستنتية الروحانيين أو العرفانيين. وقد أحال كوربان إلى أسماء من بينها: مارتن لوثر Martin Luther، وإلى أعلام البروتستنتية الروحية: فالنتان ويقل Valentin Weigel، يعقوب بوهم Jacob Boheme، والعرفاء (المتصوفة) إمانويل سويدنبورغ Emmanuel Swedenborg وفردريك كريستوف أوتنجر F. Ch. Oetinger، و"لاهوتي الروماتيكية الألمانية الكبير" فردريك شلايماخر Friedrich D.E. Schleiermacher كما لا يمكن إغفال اهتمام كوربان بالألماني كارل بارث Karl Barth، الذي لقيته في بون Bonn سنة 1932، وهو أول من ترجم فكره إلى الفرنسية في الدول الفرنكوفونية. انظر:

-Post-scriptum biographique, pp.7-9 ; Richard Stauffer, Henry Corbin : Théologien protestant, Cahier de l'Herne, Paris, Editions de l'Herne, 360, Janvier 1981, pp.186-190.

والفلسفة الوجودية لهيدغر¹ Heidegger . فهو، بحسب ما يقول، لاهوتيٌّ بروستانتِي، هرمينوطيقي² هيدغري، مستشرقٌ مليمٌ بالمعرفة الروحية ومؤرِّخٌ أديان³ . والحقيقةُ أنَّ هذا التوجهَ الروحاني لكوربان والذي بدأ مبكراً في سنوات تكوينه الدراسي توجُّهٌ ساد أوروبا في فترة ما بين الحربين في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين تطلعاً إلى البحث عن حلٍّ لغربة الإنسان في مجتمعٍ طغت فيه الماديةٌ وسادت فيه النزعة العقلانية. ثم يتعرَّزُ هذا التوجهُ الروحاني بعدها في حضور كوربانَ المتكرِّر والمتنظم للقاء إيرانوس Eranos التي كانت تُنظَّم كلَّ صيفٍ بأسكونا في سويسرا⁴ .

جمعت لقاءاتُ إرانوس، الذي افتتح دورته الأولى في سنة 1933، باحثين في تخصصاتٍ مختلفة من أجل مناقشة مسائلٍ وموضوعاتٍ متعلقة بالدين والروحانية والمعرفة الباطنية والأسطورة والرمزية ثورةً على نهائية التاريخ والزمن ورفضاً للرؤية العدمية التي تقضي بأن كل ما يبدو ببناءً وحقيقياً في الوجود الإنساني ما هو إلا نهائيٌّ ومؤقت ينتهي بموت الإنسان وفنائه. تعاقب من سنة 1933 إلى سنة 1972 أكثر من مائة محاضر في إرانوس من

¹ هيدغر Martin Heidegger (1889-1976) الفيلسوف الألماني والمؤسس الحقيقي للوجودية. عمل مساعداً لمسرح مؤسس مذهب الظاهريات ثم عُيِّن أستاذاً في جامعة فرايبورج خلفاً له وبناءً على توصيةٍ منه في سنة 1928، اعتزل الحياة العامة في 1934 ثم عاد إلى تدريس الفلسفة في 1945. من مؤلفاته: "الوجود والزمان" الذي أودع فيه زبده فلسفته كلها ويُعد من أعظم المؤلفات الفلسفية على مدى تاريخ الفلسفة. موسوعة الفلسفة، ج2، ص597. وسيأتي الكلام عن هيدغر وكوربان لاحقاً.

² نسبةً إلى الهرمينوطيقا، والهرمينوطيقا: Herméneutique يُفضَّل البعض تعريبها إلى علم التأويل وآخرون إلى التأويلية وبعضهم يستعمل كلمة هرمينوطيقا كما نقول ميتافيزيقا، واختار محمد شوقي الزين تعريبها إلى فن التأويل، وهي "فن تأويل وتفسير وترجمة النصوص"، انظر: محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات ضفاف، ط1، لبنان 2015، ص31.

³ DaryushShayegan, Henry Corbin : Penseur de l'Islam spirituel, edition Albin Michel, 2011, p.10.

⁴ عن مجموعة إرانوس Cercle Eranos وما يتعلق بها، انظر:

Repères biographiques, p.18 ; Henry Corbin, Le temps d'eranos, Cahier de l'Herne, Editions de l'Herne, édité avec le concours du Centre National des Lettres, Janvier 1981, 360, p.260

بينهم باحثون مختصون في المسائل الدينية أمثال هنري كزيمر Zimmer Heinrich، لويس ماسينيون Louis Massignon، مرسيا إلياد Mircea Eliade، جرشوم شولم Gershom Scholem، جيلبر دوران Gilbert Durant، أنتوان فيفر Antoine Faivre ... ومن بينهم أيضا علماء أحياء وفيزيائيون وفنانون وأطبائاً نفس¹.

حَقَّق هنري كوربان، الذي أصبح من زُوَاد إِرَانُوس ابتداءً من سنة 1945، بفضل غزارة إنتاجه والمسعى التاريخيِّ الشاق والرائد الذي سلكه في إخراج وقراءة نصوصٍ عربية وفارسية عديدة ثم التعليق عليها مقروئيةً كبيرة جعلته يُسهم مع جرشوم شولم² ومرسيا إلياد³ في ازدهار علم تاريخ الأديان وبعثه ليحتلَّ صميمَ الدراسات الدينية.

¹ عن مجموعة إِرَانُوس Cercle Eranos وما يتعلق بها، انظر:

Repères biographiques, p.18 ; Henry Corbin, Le temps d'èranos, Cahier de l'Herne, Editions de l'Herne, édité avec le concours du Centre National des Lettres, Janvier 1981, 360, p.260

² جرشوم شولم Gershom Scholem (1897-1982) مؤرِّخ أديان من أصل ألماني، متخصصٌ في التصوف اليهودي وفي دراسة القبالة LaKabbale وفكرِّموزها، يرى أنَّ الغنوصية هي جوهر اليهودية. حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العبري حول ترجمة وتفسير واحد من أصعب نصوص القبالة، التحق عام 1923 للتدريس بجامعة اورشليم العبرية، وصار رئيسَ قسم التصوف اليهودي. خلَّف آثاراً في التصوف والفلسفة اليهودية من أهمها: "التيارات الكبرى في التصوف اليهودي" "القبالة ورموزها". كان من رواد إِرَانُوس وصديقاً لهنري كوربان، للتوسع في ترجمته انظر:

-Paul Mendes-Flohr et all, Gershom Scholem: The man and his work, State university of New York Press and the Israel academy of sciences, 1994.

Post-scriptum biographique, p.15. -وانظر ذكر كوربان له في:

³ مرسيا إلياد Mircea Eliade (1907-1986) مؤرِّخ الأديان الروماني، فيلسوف روائي وأستاذ في جامعة شيكاغو، عاش مدة في باريس وعمل أستاذاً زائراً في مدرسة الدراسات العليا بالسوربون، من مؤلفاته الكثيرة: "المقدس والمدنس"، "تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية"، "الأساطير والأحلام والأسرار". التحق بإِرَانُوس في 1950 بدعوة من هنري كوربان، قدم مجموع ثلاثين محاضرة من 1950 إلى غاية 1967. في أرشيف إِرَانُوس دراسات عديدة له عن الرمزية، كما كتب مقالات عن إِرَانُوس، انظر ترجمته في:

-Julien Ries, Science des religions et sciences humaines. L'œuvre de Mircea Eliade (1907-1986), Revue théologique de Louvain, 17^e année, 1986. pp. 329-340.

-Spring no. 92, disponible à l'adresse : <https://www.amiscorbin.com> (Consulté le : 10/5/2018).

وبفضل التمعّن والنّظرِ الفلسفي الذي صاحب عملَ المؤرخ، بحث كوربان معاني النصوص بوضعها في سياقٍ خاص، سياقٍ علمانية المجتمعات الحديثة، ومنه معاني التقاليد الروحية، فغيّرَ بهذا، كما فعل شولم وإلياد أيضا، التوجّه التقليدي السائد في دراسة الأديان، فقلّل ثلاثتهم من دور الجانب القانوني التشريعي ومن شأن الطقوس والمظاهر والتاريخ الاجتماعي ودرسوا الدّين وحلّلوا سماتِه العامة بالتأكيد على مركزية التجربة العرفانية، فكان التصوفُ والأسطورة والرمزية والهرمينوطيقا من المسائل الأساسية في دراساتهم¹.

يكمن التجديدُ الذي أحدثه كوربانُ وزميليه في علم الأديان كذلك، أنّهم درسوا الدّين من خلال الدّين نفسه رافضين كلّ التفسيرات غير الدينية وذلك لأنّهم انطلقوا من رؤيتهم الظاهرانية القاضية بالنظر في الأشياء وكنهها في حدّ ذاتها مع تنحية كلّ الانحيازات الثقافية والدينية المفروضة فوقيا، فأجملوا بذلك دراسة ظاهرة الدّين بـ "كونه ديناً" وأن الظاهرة الدينية مستقلة بذاتها ومتحررةً من غيرها على عكس التوجه السائد الذي يذهب إلى تفسير الظاهرة الدينية بأسبابٍ غير دينية، لهذا فإنّ كوربان عندما توجه إلى دراسة الشيعة قال إنّّه قد أسيء إليها كثيرا بمحاولة تفسيرها أو فهمها من خلال الظروف السياسية أو الاجتماعية أو الجغرافية أو غيرها.² من هاهنا جاءت فكره هذا المقال المعنون بـ: "ظاهرة الكتاب المقدس عند هنري كوربان" لعلّه يُسهّم في فهم هذا التوجّه في دراسة الأديان، فهنّ الجزئيات المتعلقة

¹²Cf. Steven M. Wasserstrom, Religion after religion :Gershom Scholem, Mircea Eliade and Henry Corbin atEranos,PrincetonUniversityPress,New Jersey,1999, pp.5,8,11,25,29.

عقّد M. Wasserstrom Steven مقارنةً بين شولم، إليادوكوربان مُبيّنا من خلال فصول كتابه أوجه الشبه والاختلاف بينهم، وهو يرى أن هذه المجموعة (أي ثلاثتهم) تتحدد بالمشروع الثقافي إرانوس، وما يؤكد هذا الطرح مظاهر الدعم المتبادل بينهم فيما يخص عملهم خلال سنوات إرانوس، والأهم من هذا الأهداف المشتركة وأوجه الشبه العديدة التي يتقاسموها من المصطلحات التقنية المستعملة والتأثيرات التكوينية إلى التكفل المالي بأعمالهم ومكان إصدارها. انظر ما قاله في ص 11 من كتابه.

موضوع ما قد يؤسس للرؤية الكلية. فما الذي يعنيه كوربانٌ بظاهرة الكتاب المقدس التي يذكرها كثيراً في كتبه وحواراته؟ ما هي الظاهرة وما هو المنهج الظاهراتي عنده؟ ما الذي يقصده بالكتاب المقدس؟ وإذا كانت الهرمينوطيقا أو التأويل من دعائم منهجه فما أثرها في فهم وتفسير الكتاب المقدس؟ كيف تتم؟ وأين تتم؟ وما هو العضو المسؤول عن تمامها؟

يُعرّف هنريكوربان **الظاهرة** le phénomène يقول: "هي ما ينكشف، وهي الظاهر الذي يرينا عند ظهوره أو تجلّيه أمرًا لا يمكن أن يتجلى في ذاته إلا إذا بقي في الوقت نفسه مخفياً تحت ظاهره. أمرٌ يتجلى في الظاهرة، ولا يتحقق تجلّيه إلا باختفائه"¹. ثم يوضح معنى تعريفه مقابلاً بين أوصاف الظاهرة يقول: "فالظاهرة هي الظاهر، الخارجي، البراني، وما يتجلى في هذا الظاهر مخفياً أو محجوباً هو الباطن، الداخلي، الجواني"². والكتاب المقدس ظاهرة دينية، والظاهرة الدينية حسب كوربان "ظاهرة أولى تُدركها مثلما ندرك الصوت أو اللون... لا تحتاج إلى أن تُستنبط من شيء آخر أو تُفسّر بأمرٍ آخر فهي مُعطى أولى... تُدرك بعملية أولية في الوعي، وهي موجودة إذا شهد من يدين بها بوجودها، لا تحتاج في ذلك إلى دليل بل إنّ إدراكها في حد ذاته حجة كافية"³.

و"الوصف الصادق للواقعة الدينية"⁴؛ "الحفاظ على ظاهرها وذلك بالكشف عن المحجوب المخفي الذي يتجلى تحت هذا الظاهر... وإدراكها كما تتبدى لأولئك الذين تظهر لهم"⁵ وب"إظهار المعنى والآثار الفكرية والمعرفية لتجلي الوعي لذاته في كل ما يصدر

¹Henry Corbin, Philosophie iranienne et philosophie comparée, Téhéran, Académie impériale iranienne de philosophie 1977, publication N 25, pp.22-23.

²Ibid., p.23

³Cf. Henry Corbin, En Islam iranien : Aspects spirituels et philosophiques, édition publiée avec le concours de l'Académie Impériale Iranienne de Philosophie, TI, p.9.

⁴Jean-Louis Vieillard-Baron, In memoriam Henry Corbin, Bulletin de la société ligérienne de philosophie, Année 19 4/ N°1, p.65.

⁵ يفسر كوربان الفينومينولوجيا عن طريق العبارة الإغريقية sôzein ta phainomena ومعناها: الحفاظ على

الظواهر، أي: فهمها بالكشف عن المقاصد الخفية التي تدفعها وتجعلها تظهر. انظر:

- Philosophie Iranienne, p.23. En Islam iranien, TI, p.173.

عنه من أفعال ومقاصد¹، هو ما يُعرّف عند كوربان الظاهراتية *la phénoménologie*، منهجٌ اعتمده في بحثه الفلسفي متأثراً، شأنَ الفنونولوجيين المحدثين، بالفيلسوف الألماني إدمون هوسرل² Edmund Husserl، المنظرُ الأول لعلم الظواهر، ثم بمارتن هيدغر Martin Heidegger الذي لقيَه في فرايبورغ بألمانيا وترجم إلى الفرنسية مختاراتٍ من نصوصه نُشرت تحت عنوان: ما الميتافيزيقا؟³

بسط هوسرل القولفي المنهج الفنونولوجي وحاول أن يعيد تحديده فهمنا أو إدراكنا للظواهر، فالفنونولوجيا عنده تصف بنية تجاربنا اليومية المعتادة في الحياة كما عايشها وخبرها وعيُنّا، فهي تندرج في مملكة الوعي وهي فلسفة الذاتية لأنها توجه النداء إلى الأشياء ذاتها

¹En Islam iranien, TI, p.9.

² إدمون هوسرل (هوسرل) Edmund Husserl (1859-1938) فيلسوفٌ ألماني ومؤسسُ منهج الظاهريات. بدأ بدراسة الرياضيات ثم توجه إلى دراسة الفلسفة بتوجيه من فرانتس برنتانو، صار أستاذاً في جامعة فرايبورغ ابتداءً من 1916، وقد خلف بعد وفاته قدراً هائلاً من الصفحات المخطوطة التي لم ينشرها إلاّبان حياته. من مؤلفاته: "المدخل العام للفينمينولوجيا الخالصة"، "أفكار لإيجاد ظاهريات محضة وفلسفة ظاهراتية"، "المنطق الصوري والمتعالي"، "أزمة العلوم الأوروبية والظاهريات المتعالية"، انظر: موسوعة الفلسفة، ج2، ص 538.

³ كان لقاءً هنري كوربان بهيدغر في سنة 1934 وكذا في 1936. ويذكر كوربان كيف كان هو وفلاسفة آخرون مثل ألكسندر كوجيف Alexandre Kojève وريمون كينو Raymond Queneau يلتفون حول ألكسندر كويري Koyré Alexandre، تلميذ هوسرل وأستاذ الفلسفة في المدرسة العملية للدراسات العليا، وكيف كانت النقاشات تتحدث حول الفينومينولوجيا والجدال المستمر بين أنصار ظاهرية هوسرل وظاهرية هيدغر. والأمر نفسه كان يحدث في منزل غابريل مارسيل Gabriel Marcel، انظر:

Post-Scriptum biographique, pp.7-8 ; Sylvain Camilleri et Daniel Proulx, Martin Heidegger-Henry Corbin lettres et documents 1930-1941, Bulletin Heideggérien IV, ISSN 2034-7189, Bbdg-4,2014, p.5.

هنري كوربان وسيطا بين هيدغر والسهورودي، الحوار الذي أجراه فليب نيمو مع هنري كوربان، تعريب: رشا طاهر ومناز درويش، مجلة الاستغراب، ع5، السنة الثانية، 2016، ص23.

وتدرس موضوعا لا علاقة له بمسائل وجود العالم أو عدم وجوده¹ غير أن هيدغر لم يصب اهتمامه على "الوعي" بل على "الوجود" كظاهرةٍ تضمن كلَّ الحقائق، ومعرفةً الوجود والكشف عنه يتم بمعرفة ما هو موجودٌ أي بمعرفة الموجود الإنساني المتسائل، فالموجود والموجود يحيل أحدهما للآخر، حسب هيدغر، ومن الضروريّ إذن تحليل حالات وجود الموجود الإنساني كي نكشف عن الوجود، والتحليل يتم عن طريق فنومينولوجيا خاصة تقوم على الهرمينوطيقا². إنَّ الهرمينوطيقا التي استخدمها هيدغر بل ومحور فعل التفلسف نفسه

¹ تعبير الفينومينولوجيا عموما مشتق من الظاهرة، فكل ما يظهر، يظهر في خبرةٍ عينية وكل ما لا يظهر في خبرة أو تجربة، من غير الممكن التصديق بوجوده. ولذا فإن هدف الفينومينولوجيا هو دراسة الخبرات بقصد بلوغ ماهياتها أو عللها الجوهرية. وإن شرط إمكان المعرفة في فنومينولوجيا هسرل (المتعالية) هو توجه الأنا أو الوعي إلى موضوعه، والغرض الأساسي هو أن الطريق إلى الوجود لا بد أن يتبدى من الوعي، أو من الصور المختلفة للقصد. وبذا تردت مشكلة الوجود إلى تحليل القصد، وتكون الفينومينولوجيا بهذا علما للوعي أو الشعور. انظر هذا الكلام والكلام عن الكيفية التي يتم بها بلوغ الوعي الخالص أو الأنا المتعالية، ومعنى القصدية والرّد والاختزال وغيرها من المصطلحات التي استعملها هسرل في: يوسف سليم سلامة، الفينومينولوجيا المنطق عند إدومون هسرل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط2007، ص10 وما بعدها، وفي موسوعة الفلسفة، ج2، ص439 وما بعدها.

² يرى هيدغر أن الفلسفة الغربية ابتداء من أفلاطون إلى نيتشه غاب عن نظرها "الفارق الأنتولوجي (الوجودي)" أي التمييز بين الوجود والموجود، فقبل الإجابة عن سؤال "ما الوجود؟" علينا أن نسائل مسبقا وجود الإنسان ذلك الموجود المتسائل الوحيد القادر بطبيعته على فهم الوجود. ووجود الإنسان يسميه هيدغر "الآنية" Dasein (الوجود هناك)، أي الوجود في العالم، وهذه العبارة لا تشمل فقط على المعنى المكاني، بل وأيضا وخصوصا المعنى الأنطولوجي. وهذا الوجود الإنساني عام بين الناس جميعا، وإن بدأت تجربتي من وجودي أنا الخاص بي. ومهمة التحليل الأنطولوجي ستكون إذن الكشف عن الوجود الإنساني بعامة. ويتم ذلك بتحليل الخاصيات الأنتولوجية للموجود الإنساني، وهذه الخاصيات هي **الوقائية** (الماضي): الوجود هناك نفسه من حيث هو مُلقى في رمية الوجود بوصفها قدرته المقدور أي أنّ الموجود الإنساني يُلقى في العالم بدون اختياره، **التواجد**: التخارج أو التنفيذ والاستشراف (المستقبل) وخاصية التواجد الإنساني هي تلك الحالة التي يفتح فيها الموجود الإنساني على الوجود من خلال استشراف مستقبله هو ذاته. وهذه القدرة على الاستشراف تُعد التمييز الحقيقي للموجود الإنساني عن باقي الموجودات، لأنها تجعله مفتحا على إمكانياته. وأخيرا **السقوط** (الحاضر): وهو الاستغراق واللاوجود من مظاهره الثرثرة والفضول والالتباس، وهي مظاهر تنم عن انفتاح غير أصيل، وحين يهوى الموجود الإنساني في حالة السقوط لا يهيب به إلا صوت الضمير فينبثق التوجيه الذي يسترجع ظاهرة انفتاح الموجود الإنساني... ولا يتم ذلك إلا **بالتعالي** أي أن يتعالى الموجود الإنساني على الحياة الزائفة وغير الأصيلة، لأن التعالي على الحياة غير الأصيلة هو الذي يحقق له وجودا أصيلا. انظر: موسوعة الفلسفة، ج2، ص600 وجمال محمد أحمد سليمان، مارتن هيدغر: الوجود والموجود، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2009، ص. 93 وما بعدها.

حولها هي المفتاح الذي يجبرنا عنه كوربان في حوارهِ مع فليب نيمو Philippe Nemo، والذي أسماه *la clavis hermeneutica*، المفتاح الذي يفتح كل الأفعال إذا ما أعطي الشكل الذي يناسب القفل الذي يُراد فتحه، فليس ضرورياً على الإطلاق تبني فلسفة هيدغر ورؤيته للعالم طالما يعطينا المفتاح الذي وضعه بين أيدينا أفقا آخر للانفتاح على الوجود، ما مكن كوربان من تجاوز مفهوم التناهي عند هيدغر ورؤيته لوجود الموجود الإنساني بوصفه وجوداً للموت أو من أجل الموت¹ إلى رؤية أرحب تحققت في فلسفة الإشراقيين كالسهروردي وغيره وفي فكر العرفانيين من الشيعة الإمامية والإسماعيلية تعتبر وجود الموجود الإنساني وجوداً في ما بعد الموت، فهؤلاء استخدموا فنومولوجيا تأويلية *phénoménologie herméneutique* تقوم على ما يُعرف عندهم بـ "كشف المحجوب" أي: الكشف عن الباطن المخفي تحت الظاهر المرئي² وهي الفنومولوجيا التي تسمح، بحسب ما يرى كوربان، ببحث ظاهرة الكتاب المقدس المنزل.³

¹ يرى هيدغر أن موت الموجود الإنساني هي الإمكانية القصوى التي تستحيل معها كل إمكانية أخرى، وبذلك فإن الموت يكشف عن كلية هذا الموجود بوصفه كلا، أي يكشف عن كلية الموجود الإنساني بوصفه وجوداً لم يُعد، أي لم يُعد بعد في العالم، والوجود بطبعه وجودٌ لفناءٍ أو وجود للموتٍ وبمجرد أن يولد الإنسان يكون ناضجاً للموت. انظر هذا الكلام وما قاله هيدغر عن الموت وكيف أننا لا يمكننا فهمه من خلال موت الآخر وعن ربط الموت بالقلق وعن التزمّن الأصيل وغير الأصيل للموت في: مارتن هيدغر: الوجود والموجود، ص 185 وما بعدها.

² يذكر داربوششايفان أن حياة كوربان كلها كانت، إلى حد ما، سعيًا ثابتاً منه إلى إظهار فن التأويل، والذي كان قد اكتشف جوانب منه قبلاً في المنهج الفنومولوجي، إلا أن ما يمثل اكتشافاً متأخراً في الفكر الغربي مع هسرل وهيدغر كان بالنسبة للمفكرين الإيرانيين المفتاح الضروري لكل تأمل، وأن كوربان كان كثيراً ما يجبره أن فنّ التأويل هذا "هو ما يمكن إيجازه في عبارة "كشف المحجوب" *le dévoilement du caché*"، انظر:

-H. Corbin :Penseur de l' Islam spirituel, p.10.

وكذا يذكر سيد حسين نصر الذي درّس مع كوربان في طهران لعدة سنوات أن كوربان كان يترجم مصطلح الفنومولوجيا لطلابهِ الذين كانت الفارسية لغتهم بـ "كشف المحجوب" ومعناها حرفياً "تمزيق الحجاب للكشف عن الجوهر المخفي"، انظر:

-Seyyed Hossein Nasr, Religion and the order of nature, Oxford University Press, 1996, p.26, note.13.

³ انظر تفصيل هذا الكلام في الحوار الذي أجراه فليب نيمو مع هنري كوربان: هنري كوربان وسيطا بين هيدغر والسهروردي، ص 28، 29.

والكتاب المقدس كما يقول كوربان: "كتابٌ مُنزلٌ من السماء مُوحى به إلى نبيٍّ مرسل من الله"¹، يحدّده بمعنى العبارة القرآنية "أهل الكتاب"، جماعةٌ دينية يرتكز وجودها ونشوؤها نفسه على الوحي ويقوم أساسُ دينها عليه، وأهل الكتاب تعيينا هم أهل الأديان السماوية الثلاثة: اليهود والمسيحيون والمسلمون، أضف إليهم أهل الديانة الزرداشتية، وحظوتهم بهذا الامتياز، وفقا لكوربان دائما، تعود إلى كتابهم المقدس "الأفستا"². وللدلالة على الكتاب المقدس المنزّل يستعمل كوربان أيضا مفردة "التنزيل" وهي تعني كما يقول: "الدين الوضعي أو الكلام الذي أملاه الملك على النبي، إنّه إنزال هذا الوحي من الأعلى"³ يستعملها مع مفردةٍ أخرى تقابلها في المعنى هي "التأويل" والتي تعني "العودة والرجوع إلى الأصل وبالتالي إلى المعنى الحقيقي الأصلي للكتاب، إنّه إعادة الشيء إلى أصله"⁴ فتشكل المفردتان بذلك ثنائيةً، شأن ثنائياتٍ أخرى يستعملها كوربان كثيرا، "بمعانٍ متضادة ومتكاملة"⁵.

والقيامُ بعملية التأويل يستلزم الفهمَ أولا، فالفهم والإفهام من معاني الهرمينوطيقا، كما يقول كوربان، وفهمٌ معنى معين يعني: احتواؤه بطريقة أو بأخرى في نمط الحياة، وإنّ عدم احتوائه يعني عدم فهمه، بل يصعب شرحه كذلك. ونمط هذا الفهم مشروطٌ بنمط عيشٍ

1En Islam iranien, TI , p.136.

2Ibid, TI , p.136.

وأهل الكتاب من يجتمعون حوله، والمراد اليهود والنصارى، وهذا الذي عليه الجمهور، يقول الرازي في تفسيره لآية (113) من سورة آل عمران (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ): في المراد بأهل الكتاب قولان (الأول) وعليه الجمهور: أن المراد منه الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام ... والقول الثاني أن يكون المراد بأهل الكتاب كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان، وعلى هذا القول يكون المسلمون من جملتهم. انظر: محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط1، 1981، ج 8، ص204.

³ تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص52. مثال الثنائيات التي يستعملها كوربان في كتاباته: الحقيقة والشريعة، التأويل والتنزيل،

علم اليقين وحق اليقين، النبوة والإمامة.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ م ن، ص ن.

ذلك الذي يفهم. مع ظاهرة الكتاب المقدس تُهيئ لمسألة لا تمس سلوكا معيناً من سلوكيات الإنسان فحسب ولكن نمط العيش نفسه لهذا الإنسان؛ بصيغة أخرى: المفهوم نفسه للأنتروبولوجيا. لأن كل السلوك الداخلي للمؤمن يصدر من فهمه، فالحالة المعيشة حالة هرمينوطيقية أساساً، أي الحالة التي يظهر فيها للمؤمن المعنى الحقيقي الذي في الوقت ذاته يجعل وجوده حقيقياً¹.

والمعنى الحقيقي للنص المقدس هو معناه الروحي الخفي الكامن في داخله الذي لا يظهر إلا بالتأويل، يقول كوربان في معرض الحديث عن الشيعة: "التأويل ذلك التفسير الذي يعود بمعطيات الوحي القرآني إلى حقيقتها الروحية الحرفية"². يفترض هذا سلفاً أن يكون للنص ظاهر وباطن، يقول كوربان: "...هذا الظاهر، هذا الأمر الخارجي الذي يدعون أنه يكتفي بنفسه في تنظيم الحياة العملية ليس سوى غلافٍ لأمرٍ آخر، ليس سوى غلافٍ لباطنٍ ولشيءٍ داخلي... ذلك أن نص الدين الوضعي، نص الشريعة لا معنى له إلا في الحقيقة أي في الواقع الروحي الذي هو المعنى الباطن للوحي الإلهي"³.

والمعنى الظاهر الحرفي ضروري مثله مثل المعنى الروحي كونه "يكشف عند ظهوره أمراً لا يتجلى إلا بالبقاء تحت ظاهره"⁴، وبنية الكلام إذا فُصلت عن حقيقتها الروحية ليست إلا "بنيةً ميتة وقشرةً بلا قيمة"⁵. وإذا كان المعنى الباطني المخفي تحت المظهر الحرفي هو المعنى الحقيقي للكتاب، فإنكاره أو رفض الناس له يترتب لكلام أو الخطاب الإلهي. يعتبر كوربان هذا الأمر مأساةً يسميها بـ "مأساة الكلام المفقود" *la Parole perdue*، ويرى

¹Cf. En Islam iranien, pp.136-138.

²تاريخ الفلسفة، ص 320.

³المرجع نفسه، ص 69.

⁴Philosophie iranienne, p.22.

⁵En Islam iranien, TI, p.128.

يرى هنري كوربان أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية حافظت على التوازن بين الظاهر والباطن وإلى حد ما فعلت الشيعة الإسماعيلية الفاطمية بينما يطغى الباطن على الظاهر إلى حد تعطيل الظاهر عند إسماعيلية الموت المتطورة. انظر: الفلسفة الإسلامية، ص 71.

أن من مظاهرها اللاأدرية في الفلسفة، وحرية المتدينين المشككين المتخوفين من كل ماهو معرفة روحية، وتتجلى كذلك في اللاهوت الذي يسعى لمنافسة طموحات علم الاجتماع وهو ببساطة لاهوت فقد خطابه... مأساة الكلام المفقود تجمع اليهود والمسيحيين والمسلمين، فهي مأساة مشتركة بين الديانات السماوية¹.

يرى كوربان أن مهمة استرجاع الكلام أو الخطاب المفقود تتجاوز إمكانيات علم اللسانيات الحالية، كما أن الأمر لا يتعلق بـ "تطور اللغة"، ولكن بالوصول إلى المعنى الداخلي والباطن للكلام²، ولا يتأتى ذلك إلا بـ "تحويل المرئي (الظاهر) بكامله إلى رموز وإشارات، وهدس الجوهر ما أو شخص ما في صورة ليست هي الكلية المنطقية ولا النوع المحسوس"³ ولتوضيح معنى هذا الرمز يُميز كوربان بينه وبين الاستعارة (الأمثلة) *allégorie*، يقول: "الأمثلة) عملية عقلية لا تفضي إلى الانتقال لا إلى مستوى جديد ولا إلى عمق جديد للوعي، إنها تشخيص في مستوى واحد من الوعي لما قد يكون معروفا قبلا بشكل من الأشكال، أما الرمز فيعلن عن مستوى لآخر من الوعي يكون غير البداهة العقلية. إنه رقم للغز ما، والطريقة الوحيدة لقول ما لا يمكن إدراكه بطريقة أخرى. وهو لا يُفسر أبدا بطريقة قطعية، بل يظل دوما قابلا للفك من جديد..."⁴

وإن الملكة التي تسمح للفسر بالقيام بهذا الإرجاعاً والرد إلى الأصل وتحويل الظاهر المرئي إلى رموز وإشارات بغية الوصول إلى المعنى الحقيقي للنص هي تلك التي أسماها كوربان بـ "الخيال الفعّال" *imagination active*، وهو خيال يختلف عن الخيال بمعناه المؤلف والمتداول، فهو ليس الفنطازيا أو الوهم، ولا الملكة التي تُفرز متخيلا يتماهى مع اللاواعي، ولا هي ملكة الإبداع الجمالي، إن الأمر يتعلق بوظيفة أساسية تنتظم في عالم مخصوص بها، تتمتع فيه بوجود كامل "الموضوعية" يكون فيه الخيال الملكة المدركة بامتياز، وهذه القدرة

¹Henry Corbin, L'homme et son ange : Initiation et chevalerie spirituelle, Librairie Arthème Fayard, 1983, p.81.

²Ibid, p.81.

³ هنري كوربان، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، ترجمة فريد الزاهي، منشورات مرسم، (د.ت)، ص 22.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التخيلية هي خاصيةٌ روحيةٌ خالصة، مستقلة عن العالم المادي وتستمر بالتالي من بعده¹، هي "الطاقةُ الخالقةُ الناجمة عن تركيز القلب أي: الهمة"² وهي "تسبق الإدراك الحسي وتصوغه: لهذا فهي تحول معطيات الحس إلى إشاراتٍ ورموز"³.

وإدراك الرموز والإشارات ليس محلّه عالم العقل أو الحسّ ولكن محلّه عالمٌ بينهما أسماء كوربان بـ"عالم المثال" monde imaginal وهو ما عُرف أيضاً قديماً في الفلسفة الإشرافية بـ"المللكوت"، عالم الروح والأرواح. تتحدد وظيفته بموقعه الأوسط médian والوسيط médiateur بين العالم العقليّ والعالم الحسي. تتحول فيه الصورة الحسية إلى صورة معنوية أو روحية، وتصبح الصور العقلية مثاليةً لأنه يعطيها شكلاً وقياساً⁴، "تتجسّدن (فيه) الروح ويتروحن الجسد"⁵ إنّه "موطن التجليات، والمشهد الذي تقع فيه الأحداث الشهودية والحكايات الرمزية في واقعها الحقيقي"⁶.

¹ انظر: المرجع السابق، ص 13، وانظر أيضاً:

- Henry Corbin : Corps spirituel et terre céleste, de l'Iran mazdéen à l'Iran Shite, buchet/Chastel, s.d, p.11. edition

² الخيال الخلاق، ص 44

³ المرجع نفسه، ص 77.

⁴ ابتكر كوربان مصطلح monde imaginal الذي أخذه من اللاتينية mundus imaginalis وهو المكافئ الحرفي لـ"عالم المثال، المثالي" في العربية ويقول إنه يختلف تماماً عن "التخيلي" l'imaginaire، وعن الطوباوي l'utopique، وهو عالم المدن الصوفية، وهو كذلك ما أسماه السهروردي بـ"ناكوجا آباد"، عبارة فارسية معناها بلد "اللائين"، ذكره كوربان في كتبه كثيراً لكنه فضّل الكلام عنه في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه:

- Corps spirituel et terre céleste, pp.9-19.

⁵ الخيال الخلاق، ص 14

⁶ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هذا العالم البيئي الذي شرّع لوجوده السهروردي شيخُ الإشراق والذي وجده هنري كوربان كذلك في فلسفة ابن سينا وعند ابن عربي وحيدر حيدر الأملي¹ وملا صدرا شيرازي² هو، إذن، محل التفسير الرمزي وهو ما يُمكن من الفهم الروحانيِّ للوحي ومن التأويل³.

¹ (سيد) حيدر الأملي: أحد عرفاء الشيعة البارزين، لا يُعرف تاريخ محدّد لمولده أو وفاته لكنّه عاش في القرن الثامن الهجري. عرض هنري كوربان آثار حيدر أملي في دراسته: *Le combat spirituel du shiisme*، وخصّنه بمحاضرتين قدمها لطلابه في المدرسة العملية للدراسات العليا في 1960-1961 و1961-1962، أخرج كتابه "جامع الأسرار ومنبع الأنوار" وقدم له بمقدمة طويلة. يرى أنه يمثل بحق ما يُعرف بالعرفان الشيعي... له مؤلفات عديدة بعضها مفقود وكثيرٌ منها لا يزال مخطوطاً، من بينها: "رسالة الأركان"، "نص النصوص" وهو حاشية على "فصوص الحكم" لابن عربي، كتاب يبيّن العلاقة بين العرفان الشيعي وكتاب ابن عربي ويظهر فيه إعجاب حيدر الأملي وتأثره الكبير بفكر ابن عربي. انظر تفصيل هذا الكلام في:

Henry Corbin, Sayyed Haydar Amoli : théologien shiite du soufisme, dans *Mélanges offerts à Henri Massé, Téhéran, imprimerie de l'université, 1963, pp.72-101*

الصفحات من 88 إلى 101 خصصها كوربان لذكر المقدمة التي استهل بها كتاب حيدر أملي "جامع الأسرار".

² صدرا ملا الشيرازي: (980-1572هـ/1050-1640م) صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بملا صدرا وبصدر المتألمين، ولد بشيراز وتلمذ على ميرداماد. تتسم فلسفته بأنها مزج بين الفلسفة والعرفان، له مؤلفات كثيرة من أهمها: "الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية"، "رسالة حدوث العالم"، "إكسير العارفين"، "المبدأ والمعاد"... تعرّف هنري كوربان على ملا صدرا من خلال تعليقاته (أقصد تعليقات ملا صدرا) على كتاب السهروردي "حكمة الإشراق" وتعليقاته على كتاب أصول الكافي للكافي للكليني، كما ترجم كوربان وأخرج "كتاب المشاعر" ملا صدرا وافتحه بترجمة مستفيضة عرض فيها حياته وأهم معالم فلسفته وكتبه التي تفوق الأربعين كتاباً، انظر مقدمة كوربان على "كتاب المشاعر" في:

MollaSadraShirazi, *Le livre des pénétrations métaphysiques (Kitab al-Masha'ir): Texte arabe publié avec la version persane, Traduction française et Annotations par Henry Corbin, Teheran imprimerie Taban 1964, p.1-41.*

³ انظر: المرجع السابق، ص 9. وانظر أيضاً: 11-12. - *Corps spirituel et terre céleste*, pp.11-12.

والتأويل إذن يجمع بين المتصوفة وبين الشيعة، ولقد مارسه كذلك المتصوفة الغربيون في قراءة كتبهم المقدس. يذكر كوربان أن فكرة ضرورة العالم الوسيط مثلاً هي نفسها عند "يعقوب بوهم"¹ Jacob Boehme الذي يضع وسيطاً بين الإله المتعالي والمخفي وبين عالم الإنسان، يسميه "العنصر المقدس" وهو "جسم روحياني"، وهو المنزل والحضور الإلهي في عالمنا، هذا المنزل هو الحكمة صوفياً La Sophia وهذا الحضور هو La Shekhina عند القبالة (الكبالا)، فهو المكان المثالي لتجسدٍ روحي تام"² هذه القراءة الروحانية المتشابهة للكتب المقدسة "تمكّنتنا اليوم أن نتصور في العمق طريقاً روحانياً مشتركاً بين الفروع الثلاثة للتقليد الإبراهيمي"³ بدراسة مقارنة للروحانية وللأنثروبولوجية الدينية لأهل الكتاب عموماً، في الشرق وفي الغرب. فكرة "هرمينوطيقا روحية مقارنة" تكون فيها ظاهرة الكتاب المقدس المنزل هي المنطلق والأساس⁴

يرى كوربان أنه بتأمل قراءة الروحانيين والمتصوفة أو الثيوصوفيين للقصص القرآنية التي سبق ذكرها في العهد الجديد وكذا في الكتب التي تسمى بالأبوكريفا نصل إلى اكتشاف حالات هرمينوطيقية متشابهة. ويذكر أنه هو نفسه خاض تجربة أولى في كتابه Herméneutique spirituelle comparée بالقيام بمقارنة موضوع آدم ونوح في

¹ يعقوب بوهم (بهمه) Jacob Bohme (1624-1575): صوفي ألماني يلقب بالفيلسوف التيوتوني. من مؤلفاته: "فجر الشروق" ادعى فيه الكشف عن كثير من الأسرار المحجوبة التي تتعلق بالله والدين، واتهم بسببه بالهرطقة من طرف الكنيسة، وكتاب "الطريق إلى المسيح". تأثر بيرسلسوس Paracelsus الصنعوي (الكيميائي الشهير) فكانت مؤلفاته في غاية الغموض تحفل بالمصطلحات الصوفية الغربية، لجأ لتأويل مغرق في التهاويل لنصوص من الكتاب المقدس. تأثر بأرائه كثير من كبار الصوفية والفلاسفة الألمان أمثال: أتينجر F.Ch.Oetinger وشلنج Schelling. انظر: موسوعة الفلسفة، 401/1.

²Corps spirituel et terre céleste, p.13.

³الخيال الخلاق، ص 11.

⁴Cf.En Islam iranien, TI, p.137.

الهرمينوطيقا الروحية عند سويدنبورغ¹ Swedenborg والهرمينوطيقا عند الباطنية الإسماعيلية، ليخلصَ إلى القول بوجود أوجه شبهٍ جديرة بالاهتمام². ويشير كوربان إلى أنّ الكيفية التي قرأ بها الروحانيون والمتصوفة أو الشيوصوفيون الإنجيلَ في المسيحية والقرآنَ في الإسلام لا تُمت بصلةٍ إلى التقنية الشهيرة التي تعود إلى العصر الوسيط والقائمة على المعاني الأربعة للكتب المقدسة (المعنى الحرفي التاريخي، الأخلاقي، الرمزي (الاستعاري)، والروحاني)، ويرى أنّ هذه النظرية غيرُ فعّالةٍ ولاغيةٍ مُبيّنا أنّ طريقة القراءة والفهم التي يعينها تقتضي ثيوصوفيا أو حكماً إشرافية تقوم على نمط معين من المعرفة يضم العلم التأمليّ النظريّ للمعلومة إلى التجربة الداخلية الشخصية³.

يذكر كوربان أنّ سبب عدمِ فعالية تقنية المعاني الأربعة والتي أصبح مجرد ذكرها يكفي أحيانا لإثارة سخط اللغويين واللاهوتيين المعاصرين، كونها ليست إلا حيلة أو وسيلةً لتحريف النص، فقد خدمت اللاهوتيين في الماضي فأدخلوا أفكارهم الخاصة في النصوص، واستغلوها بطريقة تُعرضها لتهمة تبيح محتوى الكتب المقدسة. وفي المقابل، يُبين كوربان أنّه من الصعب إقناع المفسرين الذين استعملوا هذه التقنية لقرونٍ بأنّ المعنى المهم للكتاب كان الذي نراه في أيامنا هذه كـ "معنى حرفيٍّ وتاريخي". وكما لا نقع بدورنا في خلطٍ آخر علينا أن نُحدّد شروطَ فعلِ الفهم، أي الهرمينوطيقا وفي أيّ مكانٍ تظهر وفي أيّ زمنٍ تتم، وكلُّ هذا يعتمد على ارتكابنا أو تجنبنا لخطأ الخلط بين الاستعارة والرمز⁴.

¹ سويدنبورغ: إيمانويل سويدنبورغ Emmanuel Swedenborg (1772-1688) كيميائي وفيلسوف ولاهوتي بروتستنتي ومتصوف لوثري من أصل سويدي، اشتهر بكتاب عن الحياة الأخرى والفردوس والجحيم. اكتشف هنري كوربان سويدنبورغ لأول مرة في شبابه عندما زار مدينة ماربورغ في ألمانيا صيف سنة 1930 من خلال كتاب سويدنبورغ "السماء والجحيم" Du ciel et de l'enfer الذي قدّمه له أحد أصدقائه الألمان وأعجب بفكره كثيرا، وصاحبه هذا الإعجاب طيلة حياته، فقد عاد إلى دراسته في سنة 1964 بعد أن قضى وقتا كبيرا في دراسة الشيعة. انظر:

Post-scriptum biographique, p.6 ; H.Corbin : Théologien protestant, p.190.

2Cf.En Islam iranien, TI, p.137.

3Cf.Swedenborg and esoteric Islam, p.38.

4Cf.En Islam iranien, TI, P.152.

وهذا الخلط بين الاستعارة والرمز مضافاً إليه تسلط الدين الرسمي (الكنيسة) يُعتبران شريكين في تسلط الملكة التاريخية والمعنى الحرقي¹.

والمعنى التاريخي "للكتاب" إذا بقي مثبتاً في الماضي فهو معنى ميت، إلا أنه في داخل ظاهر ذلك المعنى التاريخي يوجد معنى مخفي داخلي لم يتوقف عن الحدوث فهو حي إلى اليوم الآخر، معنى ينطوي على أحداث حقيقية، لكنّها لم تتم على صعيد الوجود المادي² فالأحداث التي ترويهما الكتب المقدسة يبدو ظاهرهما مكتملاً في الماضي فهي تُصوّر وقائع ومظاهر ووجوهاً من الماضي، غير أنه يجب أن يكون لهذه الوقائع والوجوه معنى يختلف عن معناها فيما إذا وردت في كتاب دنيوي، فإذا كان لها معنى للحياة والموت في عيون من يقرأها فلائها ليست وقائع من "الماضي". يضرب كوربان لنا مثلاً بأحد أئمة الشيعة، الإمام باقر الصدر الذي كان يرى أنّ معنى الوحي القرآني لا يقتصر على الشخص أو مجموعة الأشخاص الذين أنزلت فيهم الآيات وإلا لكان كل القرآن ميتاً اليوم، فالكتاب المقدس أو القرآن حي لا يموت أبداً، تكتمل آياته في أشخاص المستقبل كما اكتملت في أشخاص الماضي. فيكون الإمام بهذا قد عطّل مسبقاً فحاح ما نسميه، في أيامنا هذه، بـ"التاريخانية"³.

ولوصف أحداث الكتاب المقدس يستعمل كوربان كلمة "حكاية" ويعني بها المحاكاة mimesis، والتكرار، أي التاريخ ولا شك، ولكنه تاريخ في الأساس صورة أو رمز. تاريخ بخاصية رمزية تُكسب الأحداث الظاهرية العادية صورة استثنائية. والحكاية والمحاكاة "تقليد" وكأنّ فن المؤرخ ينتمي أساساً إلى فن التقليد أو التمثيل، فكل حكاية تحدث في هذا العالم

1 تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص41.

2En Islam iranien, TI, p.26.

3Ibid.,TI, p.137.

وللتوسع في معرفة موقف هنريكوربان المعادي للتاريخانية انظر: l'historicisme

-Ali Alibay et Diane Steigerwald, La Phénoménologie Herméneutique d'un philosophe de la métahistoire, IndonesianAcademic Society XXI, 1998 , pp.88-91.

المرثي هي محاكاة وتقليد لأحداث تمت أولاً في الروح، "في السماء"¹ ولهذا فإنّ مكان التاريخ المقدس la hiérophistoire، أي: إشارته ورموزه لا تُدرك بالحواس لأنّ معانيها ترجع إلى عالمٍ آخر. وحدها الهرمينوطيقا الروحية تحافظ على حقيقة الحكاية، كحقيقة حكايات الأنبياء في العهد الجديد والقرآن، مثلاً، لأنها تفهم وتُدرِك المعنى الروحي على المستوى الذي يتم فيه الحدث حقيقةً في الزمان الخاصّ به، زمان التاريخ الميتافيزيقي المقدس².

والزمان المقدس هو زمانٌ آخر يختلف عن الزمان الكميّ الخارجي الذي يقاس بحركة النجوم، فهو زمنٌ كميّ نفسي باطني خاص بأحداث الروح، وبدون التمييز بين الزمنيين لا يمكننا فهم الحقيقة القائمة على الوحي، ولا يمكن، مثلاً، فهم فلسفة النبوة عند الشيعة القائمة على هرمينوطيقا نبوية تستبطن الأحداث الخارجية وترفع التاريخ الواقعي الذي لا يزال مخفياً إلى مستوى يتعالى بحقيقتنا المادية، الوضعية أو الاجتماعية³. فالأنبياء كلّفوا بتبليغ الكتاب المقدس للناس، والأئمة ورثة الأنبياء هم المرشدون الروحيون والقيّمون على الكتاب، فليست مهمتهم الإتيانُ بشرع أو قانونٍ جديد وإتّما أن يُعلّموا الناس المعنى الحقيقيّ (الباطني) للكتاب. فهم من يُعملون تأويلَ الوحي المحمدي وكلّ وحي سابق، ما يُبقي إمكانية عودة الإمام الغائب مفتوحةً وما يُبقي الوعيّ الشيعي منفتحاً على الانتظار والحسب بينما يعيش الإسلام الغالبُ ببيدهيات القانون وبيدهياتٍ قطعية وجاهزة. وهذا سرُّ اهتمام كوربان بالظاهرة الدينية الشيعية، فهي حسبها، تُسلّم بالهرمينوطيقا الروحية للكتاب المقدس حتى في بداية تأسيسها خلافاً للإسلام السنّيّ الغالب. وهذا الخلافُ بين السنة والشيعة، هذا الانشقاقُ داخل الإسلام نفسه كان المنطلقُ فيه ظاهرةً الكتاب المقدس⁴.

¹ يعطي كوربان مثلاً على ذلك الطواف حول الكعبة الذي ليس إلا حكايةً أو محاكاة لطواف الملائكة حول البيت المعمور

في السماء. انظر: - Swedenborg and esoteric Islam, p.36.

² Cf. Swedenborg and esoteric Islam, p.36-37 ; En Islam Iranien, TI, p.163.

³ Cf. En Islam iranien, TI, p.169.

⁴ Cf. Swedenborg and the esoteric Islam, pp.91-92, et En Islam iranien, p.137.

مما سبق عرضه من آراءٍ ذهب هنري كوربان إليها ومن مفاهيمٍ حدّدها يتبين أنّ فهم ظاهرة الكتاب المقدس المنزل يستلزم أعمالَ التأويل، والتأويلُ الذي يقصده كوربان تأويلٌ روحي رمزي يقوم على الوصول إلى باطنِ النصوص وروحها وعدم الاكتفاء بحرفيتها وذلك بتحويل ظاهرها المرئي إلى رموزٍ وإشارات فتتكشف بذلك المعاني الباطنة وتتجلى الحقائق المحجوبة، وعمليةُ التحويل هذه تتم في عالم الروح أو ما أسماه كوربان بـ"عالم المثال" الذي يتوسط الحسَّ والعقل، والذي يرى فيه حلًّا للنائية في الفلسفة الغربية وإنقاذًا للإنسان الغربي المعاصر من العدمية أو النيهيلية، بالاعتماد على القدرة التخيلية للمؤول أو "الخيال الفعال" عضوِ عالمِ المثال وأداته. هذا وإنَّ أحداثَ الكتاب المقدس أحداثٌ حيةٌ لا تموت لأنها تنتمي إلى زمنٍ خاصٍ بأحداثِ الروح، ولا يمكن فهمها إلاّ بإعمالِ التأويل الذي قال عنه كوربان كما أخبرنا رفيقه داريوش شايجان: "لأنَّ الغرب فقدَ معنى التأويل فإننا لم نعد قادرين على إدراكِ محبّاتِ الكتب المقدسة"¹.

وأخيرًا وجب التذكير أن هناك انتقاداتٍ ونقاطا مهمة تجدر الإشارة إليها كونها تمس الدعامة التي تُؤسّس لرؤية كوربان للتأويل الذي هو أساسُ فهم ظاهرة الكتاب المقدس: يذكر حميد ألفار Hamid Algar، الباحثُ المتخصص في تاريخ العالم الفارسي التركي وفي التشيع والأستاذُ الفخري للدراسات الفارسية في جامعة كاليفورنيا، في مقالٍ نقديٍّ أجمل فيه فكرَ كوربان وأعماله أنّ هنري كوربان يرى أن التشيع تقليد باطنٌ في الأساس بل هو مرجعُ كل الباطنية في الإسلام ومصدرُ التصوف، مبيّنًا أن رؤية كوربان هذه موجودة في أغلب كتاباته، وهي تنطوي على تشويه كبير لكل من الإسلام السني والشيعي، إذ بمجرد أن يجعل من التشيع المصدرَ الأوحَد لتقاليد الإسلام الباطنة فهو يحتزل الإسلام السني فيما يشير إليه مرارا وبازدراءٍ واضحٍ بالإسلام الفقهي. ورغم أن التصوف بوصفه أحدَ التقاليد الباطنة في الإسلام قد ازدهر في العالم السني إلا أن كوربان يعتبره مجتزئًا من التشيع، وعرضه لتصوف ابن عربي

¹ Henry Corbin : Penseur de l'Islam spirituel, p.20.

على أنه متطابق مع التشيع في صيغتيه الإثني عشرية والإسماعيلية متجاهلا أسلاف ابن عربي من متصوفة بلاد الأندلس والمغرب أحد الأمثلة على ذلك¹.

وفي السياق نفسه ينتقد الإمام موسى الصدر في تقديمه لكتاب "تاريخ الفلسفة الإسلامية" لهنري كوربان، في نسخته العربية، تناول كوربان لموضوع الظاهر والباطن والرمزية في القرآن الكريم، ويذكر أنه أسهب في هذا الأمر وجعله أصلا لكثير من أبحاثه وأساسا في فهم مذهب الشيعة وتفسير معنى الولاية والإمامة والإمام الغائب مُبَيَّنًا في ردِّ طويلٍ أنّ الباحثين في الأحكام الإسلامية والمفسرين للقرآن الكريم لا يعتمدون غالبًا على أسلوب الرمزية ولا يأخذون بالظاهر والباطن، بل المبدأ الشائع عندهم والطريقة السائدة هي أصل مراحل الإدراك ومبدأ تفاوت مراتب الفهم، وأنَّ الحقيقة، أية حقيقة، لها جوانبٌ عديدة يتفاوت بعضها بعضا وضوحا وخفاءً، والعلم البشري يكشف الجوانبَ بالتدرج كلما تقدم وتسرَّب إلى أعماقِ الحقيقة².

ويذكر دنيال بول Daniel Proulx، الباحث الكندي المتخصص في فكر وفلسفة كوربان، انتقاداتٍ أخرى وُجِّهت لأسلوب كوربان في قراءة وترجمة نصوص التراث الإسلامي الإيراني . فقد عاب عليه المترجمون الذين يتبنون منهجا ميكانيكيا وتاريخيا في الترجمة أنه قرأ ونقل نصوصا عديدةً بالتوافق مع روح التأويل الذي يمارسه ويحتل مكانةً كبيرةً لديه. وانتقده الباحث المتخصص في التشيع أمير معزي Amir Moezzi على تقويله النصوصَ ما لم تقل، وأنه بسبب عدم احترامه للقواعد العلمية ارتكب أخطاءً عديدة، وأنه يتكلم كثيرا في المقام الذي يجب فيه على الباحث أن يصمت. وكذا عاب عليه Antoine Faivre،

¹ Cf. Hamid Algar, The study of Islam : The work of Henry Corbin, Religious Studies Review, Vol.6 , No.2 / May 1980, pp.87-88.

وانظر: على سبيل المثال لا الحصر: ما قاله كوربان في العلاقة بين التشيع والتصوف والإلحاح على كون الشجرة السلالية للتصوف تفضي إلى أئمة الشيعة خاصة الإمام السادس جعفر الصادق أو الثامن، الإمام علي رضا في: - الخيال الخلاق، ص18.

- En Islam iranien, TI , p. 128

² تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص9 وما بعدها.

ظاهرة الكتاب المقدس عند هنري كوربان من أجل هرمنيوطيقا روحية

المتخصصُ الفرنسيُّ في تاريخ الباطنية، منهجَه في فهم فلسفة مفكرين أمثالِ سودنبورغ Swedenborg، وبادر¹ Baader واتهمه بعدم الموضوعية وأنه ينسب إليهم رؤيته الذاتية وفكره الخاص، وذلك في محاضرة قدّمها حول موضوع الباطنية المقارنة في الديانات السماوية²..

¹ بادر Franz von Baader (1765-1841) فيلسوف صوفي ألماني. تأثر بيعقوب بييمه كثيرا. نقد مذهب كنت وكان له تأثير كبير في تطور فلسفة شلنج. أسلوبه غامض حافل بالرموز أفكاره مزج بين فلسفة الطبيعة ووحدة الوجود، له مؤلفات عديدة. انظر: موسوعة الفلسفة، ج1، ص 283.

²Cf. Daniel Proulx, *Parcours philosophique de Henry Corbin : phénoménologie herméneutique et philosophie prophétique*, Université de Sherbrooke, 2009, p.97.

المراجع العربية:

- 01- جمال محمد أحمد سليمان، مارتن هيدغر: الوجود والوجود، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2009.
- 02- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.
- 03- محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط.1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.
- 04- محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، ط.1، لبنان، منشورات ضفاف، 2015.
- 06- هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، مراجعة وتقديم: الإمام موسى الصدر، ترجمة: حسين مروة وحسن قبيسي، ط.2، بيروت، عويدات للنشر والطباعة، 1998.
- 07- هنري كوربان، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، ترجمة فريد الزاهي، منشورات مرسيم، (د.ت).
- 08- يوسف سليم سلامة، الفينومينولوجيا المنطق عند إدمون هسرل، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 2007.
- 09- هنري كوربان، وسيطا بين هيدغر والسهوردي، الحوار الذي أجراه فليب نيمو مع هنري كوربان، تعريب: رشا طاهر ومنار درويش، مجلة الاستغراب، ع5، السنة الثانية، 2016.

المراجع الأجنبية:

- 01- Daniel Proulx, Parcours philosophique de Henry Corbin : phénoménologie herméneutique et philosophie prophétique, Université de Sherbrooke, 2009.
- 02- Daryush Shayegan, Henry Corbin : Penseur de l'Islam spirituel, edition Albin Michel, 2011.
- 03- Hamid Algar, The study of Islam : The work of Henry Corbin, Religious Studies Review, Vol.6 , No.2 / May 1980.
- 04- Henry Corbin : Corps spirituel et terre céleste, de l'Iran mazdéen à l'Iran Shiite, edition buchet/Chastel, s.d.
- 05- Henry Corbin, En Islam iranien : Aspects spirituels et philosophiques, édition publiée avec le concours de l'Académie Impériale Iranienne de Philosophie, s.d. TI.
- 06- Henry Corbin, Le temps d'Éranos, Cahier de l'Herne , Editions de l'Herne, édité avec le concours du Centre National des Lettres, Janvier 1981, 360.
- 07- Henry Corbin, L'homme et son ange : Initiation et chevalerie spirituelle, Librairie Arthème Fayard, 1983.
- 08- Henry Corbin, Philosophie iranienne et philosophie comparée, Téhéran, Académie impériale iranienne de philosophie 1977, publication N 25.

- 09- Henry Corbin, SayyedHaydarAmoli : théologien shiite du soufisme, dans Mélanges offerts à Henri Massé, Téhéran, imprimerie de l'université, 1963.
- 10- Henry Corbin, Swedenborg and esoteric Islam : twostudies, translated by Leonard Fox, swedenborgstudiesmonographseries USA, 2nd printing 1999.
- 11- Jean-Louis Vieillard-Baron, In memoriam Henry Corbin, Bulletin de la société ligérienne de philosophie, Année 19 4/ N°1.
- 12- Julien Ries, Science des religions et sciences humaines.L'œuvre de Mircea Eliade (1907-1986), Revue théologique de Louvain, 17^e année, 1986.
- 13- MollaSadraShirazi, Le livre des pénétrations métaphysiques (Kitab al-Masha'ir) : Texte arabe publié avec la version persane, Traduction française et Annotations par Henry Corbin, Teheran imprimerie Taban 1964.
- 14- Paul Mendes-Flohr et all, Gershom Scholem : The man and hiswork, State university of New York Press and the Israelacademy of sciences, 1994.
- 15- Repères biographiques, L'Herne : Henry Corbin, Paris, Editions de l'Herne, 360, Janvier 1981.
- 16- Richard Stauffer, Henry Corbin : Théologien protestant, Cahier de l'Herne, Paris, Editions de l'Herne, N360, Janvier 1981.
- 17- Seyyed Hossein Nasr, Religion and the order of nature, Oxford UniversityPress, 1996.
- 18- Steven M. Wasserstrom, Religion after religion : Gershom Scholem, Mircea Eliade and Henry Corbin atEranos,PrincetonUniversityPress,New Jersey,1999.
- 19- Sylvain Camilleri et Daniel Proulx, Martin Heidegger-Henry Corbin lettres et documents 1930-1941, Bulletin Heideggérien IV, ISSN 2034-7189, Bbdg-4,2014.

المواقع الإلكترونية:

- Henry Corbin, Post-Scriptum biographique à un entretien philosophique, Paris, Cahier de l'Herne, Juin 1978, p.1-23.Disponible sur : <https://www.amiscorbin.com>. (Consulté le 15/3/2018).

دار <<http://www.daralsaqi.com>>(consulté le 16/5/2018) ترجمة ذاتية مختصرة لشايغان في موقع دار

الساقى للنشر:

-Décès de Daryush Shayegan :<<https://www.amiscorbin.com>> (consulté le 16/5/2018).

-Spring no. 92, disponible à l'adresse :<<https://www.amiscorbin.com>> (Consulté le :10/5/2018).

وقد أفدت (توجيها إلى المراجع خاصة) من المرجعيين الآتيين غير أن أحيل إليهما:

-Hadi Fakoury, Henry Corbin's Hermeneutics of Scripture, in Torrance Kirby et al, Philosophy and the Abrahamic religions: Scriptural hermeneutics and epistemology, Cambridge Scholars Publishing, 2013.

-Tom Cheetham, The world turned inside out: Henry Corbin and Islamic mysticism, Published by Spring Journal, 2003.